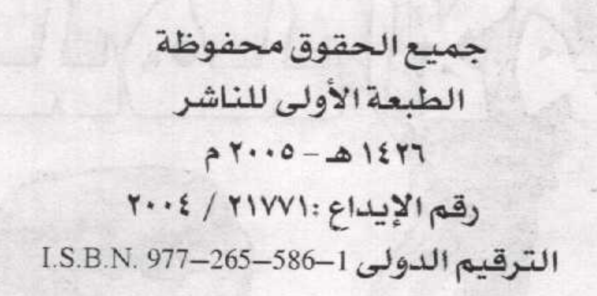

سلسلة الحيوانات والطيور فى القرآن (٥)
الهدهد الأمين
تأليف
محمد محمود القاضى
رسوم : ياسر سقراط إخراج فنى : ألوان للإعلان



الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع: ٢١٧٧١ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977–265–586–1

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص- ب ١٦٣٦

٢٥١ ش بور سعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢- فاكس ٣٩٣١٤٧٥

www.eldaawa.com Email: info@eldaawa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ
(٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ
مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ
وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)
قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي
هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ
يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ
وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا
بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾

«سورة النمل ٢٠-٣٣»

ذات يوم، كان خالد يجلس مع والده فى حديقة منزله، فوقعت عين خالد على هدهد جميل يقف فوق سور الحديقة.. فقال خالد لوالده: انظر يا أبى إلى هذا الهدهد .. فشكله جميل حقًا ويبدو كأنه ملك متوج.. فكم أتمنى أن يكون لى هدهد جميل أضعه فى قفص فى الحديقة لأستمتع بالنظر إليه كل يوم.

قال الأب: نعم يا خالد الهدهد طائر جميل حقًا.. ولكن الأجمل أن نستمتع برؤية هذه الطيور وهى حرة طليقة.. كما أراد الله لها أن تعيش..

قال خالد: عندك حق يا أبى.. فكما أننا نحب الحرية وندافع عن حريتنا فلابد أن نتمناها لكل مخلوقات الله سبحانه...

واستأذن الوالد ليدخل المنزل ليكمل بعض أعماله فى حجرة المكتب.. وجلس خالد وحده فى الحديقة .. وأخذ ينظر إلى الهدهد بإعجاب..

وفى هذه اللحظة طار الهدهد ووقف على غصن الشجرة التى يجلس تحتهاخالد فى الحديقة..

ففرح خالد باقتراب الهدهد منه، وقال: شكرًا لك أيها الهدهد الجميل لأنك اقتربت منى حتى أراك بوضوح وأستمتع بمنظرك الجميل..



عندئذ حدث أمر عجيب فقد رد الهدهد على خالد قائلاً: لقد فعلت ذلك حتى أقترب منك أيها الولد الطيب.. فلقد سمعت حوارك مع أبيك.. وأعجبت بك.. ومن اليوم سوف نكون أصدقاء، وسوف أمتعك بما عندى من حكايات وقصص..

قال خالد وهو فرح مسرور: أنا فى غاية السعادة لأنك ستكون صديقًا لى أيها الهدهد.. ولكن هل عندك حكايات وقصص تستطيع أن تحكيها لى..

ضحك الهدهد وقال: عندى الكثير من الحكايات والقصص.. فأنا أتجول كل يوم فى البلاد وأرى وأسمع الكثير من العجائب والحكايات..

قال خالد: وماذا ستحكى لى اليوم يا صديقى الهدهد؟

قال الهدهد: سأحكى لك اليوم أعظم قصة فى حياة عائلة الهداهد..

تعجب خالد وقال: لقد شوقتنى إلى سماع هذه القصة يا صديقى الهدهد..

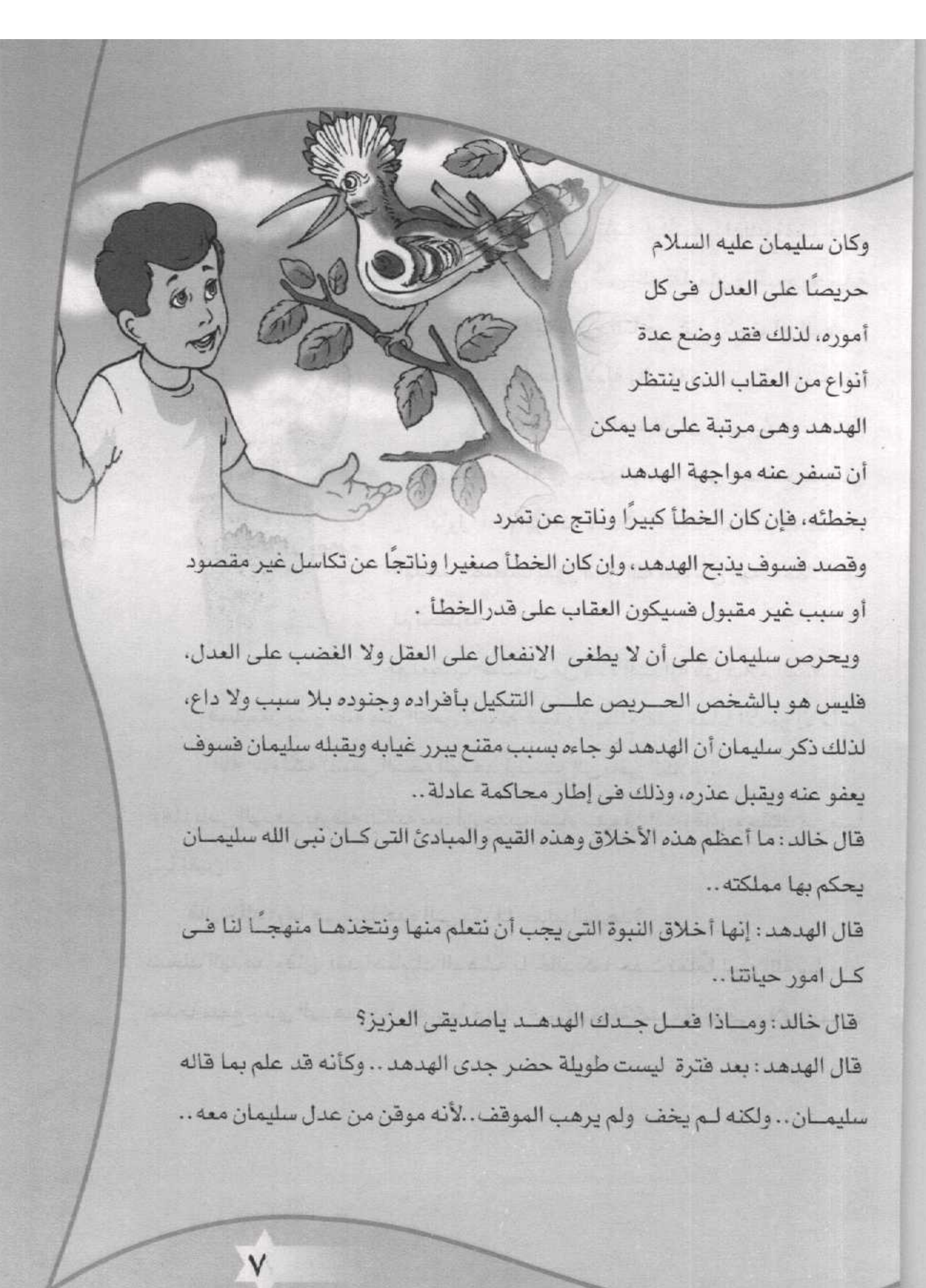
قال الهدهد: إنها قصة جدى الهدهد الأكبر.. هدهد النبى سليمان عليه السلام.. وقد ذكرها الله سبحانه فى القرآن الكريم..

فلقد سخر الله سبحانه لسليمان عليه السلام الجن والطير، كان سليمان يكلف كلاً منها بعمل يقوم به، وكان جدى الهدهد أحد جنود سليمان، وكانت مهمته اكتشاف أماكن الماء فى أعماق الأرض، وهى مقدرة عظيمة وهبها الله سبحانه للهداهد ..

واعتاد سليمان عليه السلام أن يجمع كل أفراد مملكته من الجن والإنس والطير كلما دعته الحاجة إلى ذلك، وذات مرة دعا سليمان أفراد مملكته للحضور أمامه، وأخذ سليمان يتفقد جنوده جميعًا فوقعت عينه على مكان الهدهد الذى تغيب عن حضور هذا الاجتماع، ويا لها من يقظة عظيمة يتمتع بها القائد سليمان النبى وانتباه شديد لأفراد مملكته ومكان كل واحد منهم ، ويتأكد لسليمان عليه السلام غياب الهدهد عن حضور هذا الاجتماع المهم.. ويعجب سليمان من اجتراء الهدهد على أن يغيب عن هذا اللقاء ..

ولما كان سليمان عليه السلام حريصًا على انضباط أفراد مملكته جميعًا فإنه كان يحاسب المقصر على تقصيره، والمخطئ على خطئه، فليست الحكمة أن يترك الأمر فوضى ليفعل كل فرد ما يحلو له دون حساب أو مساءلة وعقاب .





وكان سليمان عليه السلام حريصًا على العدل في كل أموره، لذلك فقد وضع عدة أنواع من العقاب الذى ينتظر الهدهد وهى مرتبة على ما يمكن أن تسفر عنه مواجهة الهدهد بخطئه، فإن كان الخطأ كبيرًا وناتج عن تمرد وقصد فسوف يذبح الهدهد، وإن كان الخطأ صغيرا وناتجًا عن تكاسل غير مقصود أو سبب غير مقبول فسيكون العقاب على قدر الخطأ .

ويحرص سليمان على أن لا يطغى الانفعال على العقل ولا الغضب على العدل، فليس هو بالشخص الحـريص علـى التنكيل بأفراده وجنوده بلا سبب ولا داع، لذلك ذكر سليمان أن الهدهد لو جاءه بسبب مقنع يبرر غيابه ويقبله سليمان فسوف يعفو عنه ويقبل عذره، وذلك فى إطار محاكمة عادلة..

قال خالد : ما أعظم هذه الأخلاق وهذه القيم والمبادئ التى كـان نبى الله سليمـان يحكم بها مملكته..

قال الهدهد : إنها أخلاق النبوة التى يجب أن نتعلم منها ونتخذهـا منهجـًا لنا فـى كـل امور حياتنا..

قال خالد : ومـاذا فعـل جـدك الهدهـد ياصديقى العزيز؟

قال الهدهد : بعد فترة ليست طويلة حضر جدى الهدهد.. وكأنه قد علم بما قاله سليمـان.. ولكنه لـم يخف ولم يرهب الموقف..لأنه موقن من عدل سليمان معه..

وهو لم يزل بريئًا ولم تثبت إدانته.. لذلك وقف جدى الهدهد فى مكان قريب من نبى الله سليمان وأخبره بحقيقة موقفه.. وقدم له عذره فى التأخر عن الاجتماع المهم..

قال خالد: وما هذه الأدلة والبراهين التى قدمها جدك الهدهد لنبى الله سليمان حتى يثبت براءته؟

قال الهدهد: ألقى جدى الهدهد على مسامع سليمان بأول أدلة براءته قائلاً: أحطت بما لم تحط به.

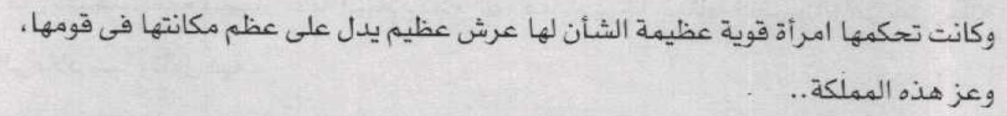
الهدهد الضعيف يقول لنبى الله الموحى إليه: أحطت بما لم تحط به..

لم يغضب سليمان من هذه البداية فى كلام الهدهد.. فسليمان بشر مثله مثل الناس لا يعلم غيبًا ولا يطلع على خفايا الأمور إلا بأمر الله .. ولكنه أصغى السمع للهدهد ليستمع إلى باقى الكلام..

وهنا يلقى الهدهد بورقته الثانية بعد أن جذب انتباه سليمان إليه وقال: وجئتك من سبأ بنبأ يقين..

قال خالد: وما هى سبأ هذه التى ذكرها جدك الهدهد؟

ضحك الهدهد وقال: لقد أصابتك الدهشة يا خالد كما حدث تمامًا لنبى الله سليمان عندما سمع جدى الهدهد يذكر له سبأ هذه.. فسبأ مملكة كبيرة قوية فى بلاد اليمن..



وكانت تحكمها امرأة قوية عظيمة الشأن لها عرش عظيم يدل على عظم مكانتها فى قومها، وعز هذه المملكة..

قد لا يكون فى هذا الأمر غرابة .. فسليمان يعلم أن أرض الله واسعة .. وهو لا يملك الدنيا كلها .. فما المانع أن توجد مملكة أخرى فى ناحية من الأرض .. وما وجه الغرابة فى أن تحكمها امرأة .. أليست المرأة بشرًا من الناس..

وهنا يلقى جدى الهدهد بورقة أخرى من أوراق براءته .. ويبين لسليمان الأسباب الحقيقية لدهشته مما رآه.. إن أهل هذه المملكة القوية ومعهم ملكتهم لا يعبدون الله سبحانه .. وإنما يعبدون شيئًا من مخلوقات الله ويسجدون له وهو الشمس..

فهذا موطن العجب وسبب الاهتمام بالأمر .. وهذا الأمر هو الذى جعل جدى الهدهد يتعجب من أمر أهل هذه المملكة وملكتهم .. لأنهم يسجدون للشمس من دون الله .. يسجدون لمخلوق مثلهم، ولا يسجدون لله تعالى الذى خلقهم ويعلم سرهم ونجواهم، ويخرج لهم الحب والزرع والثمار .. وينعم عليهم بكل ما هم فيه من خير..

قال خالد : لقد كان جدك محقاً يا صديقى فى عجبه من أمر هؤلاء الناس .. وأظن أن نبى الله سليمان سوف يعجب به ..

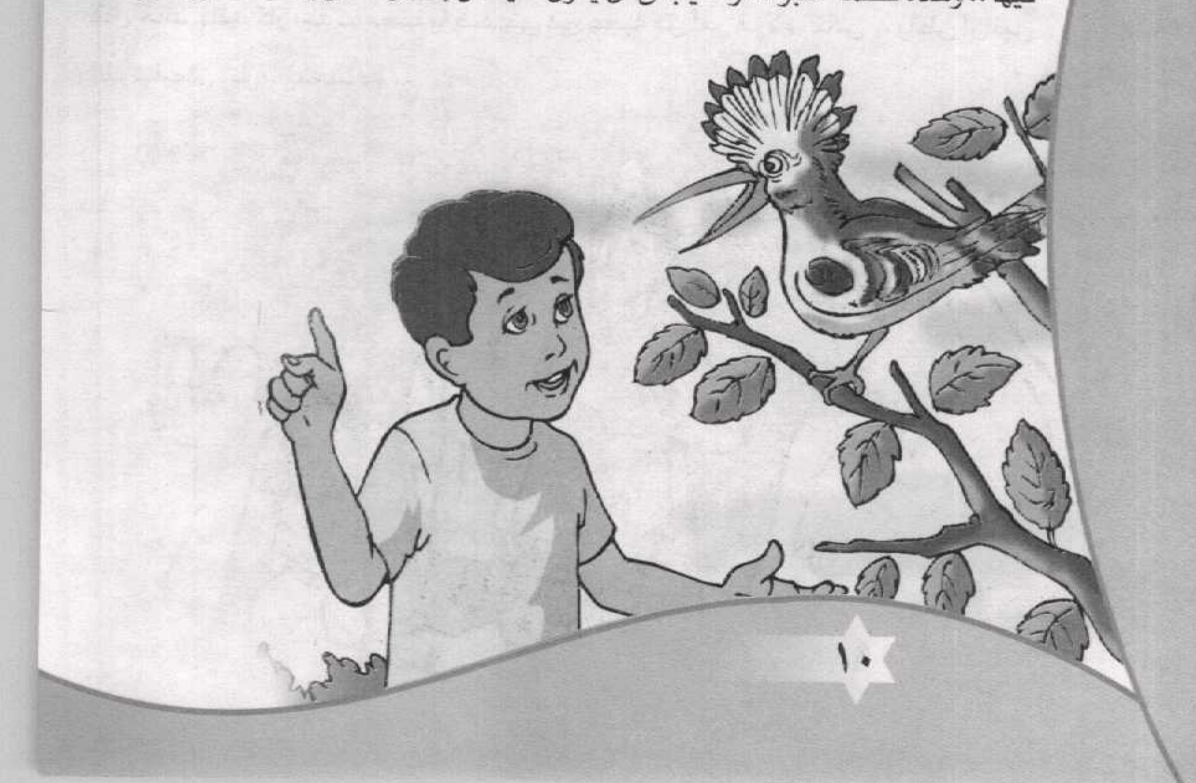


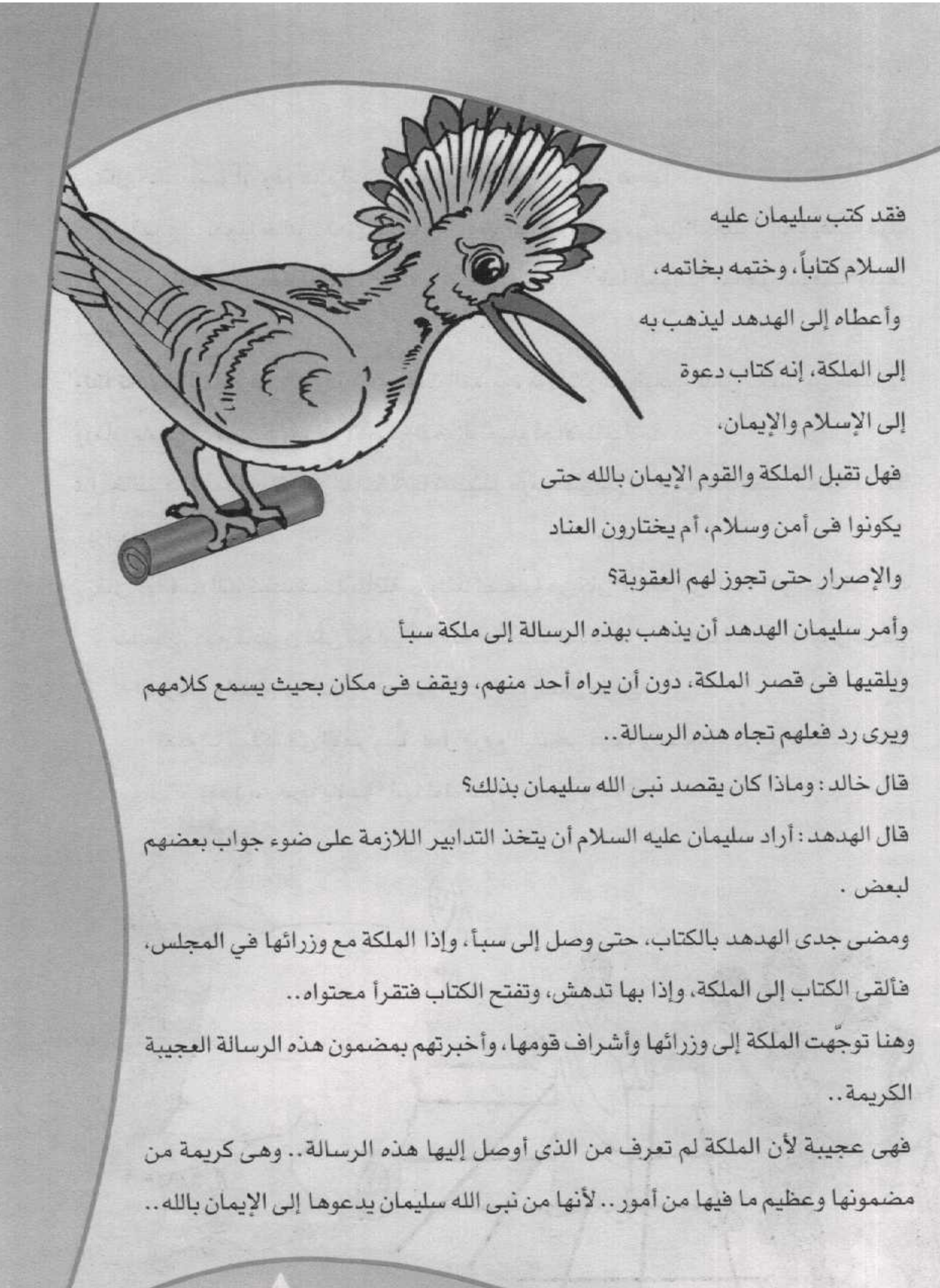
قال الهدهد: سمع سليمان عليه السلام كلام الهدهد الذى جاء بمثابة التقرير الوافى عن رحلته إلى بلاد سبأ وتأمل فيه..

إن الهدهد قد حدثه عن كل كبيرة وصغيرة فى هذه المملكة المجهولة.. فحدثه عن نظام الحكم، وعن القدرة الاقتصادية، وعن النظام الحضارى والصناعى ومدى تقدمه، وعن العقيدة الدينية ومدى رسوخها فى نفوسهم.. لم يترك الهدهد شيئًا يريد سليمان أن يستفسر عنه.. لابد أن يتوقف سليمان متأملاً ونحن معه أمام هذا المستوى الراقى من جندى مبادر لا يكتفى بمجرد تأدية الأوامر، ولكنه من منطلق فهمه وإيمانه برسالته ينطلق ويؤدى ويبدع ويتفانى فى إتقان دوره بما ينعكس بأعلى درجات الكفاءة والفعالية على تحقيق وإنجاز هذه الرسالة..

قال خالد: وماذا فعل نبى الله سليمان بعد ذلك؟

قال الهدهد: رغم كل ما قاله جدى الهدهد.. ورغم قناعة سليمان المبدئية بكلامه إلا أنه لا بد أن يتأكد حتى يبنى قراراته بشأن أمر هذه المملكة على حقائق واضحة لا لبس فيها.. وهذة عظمة النبوة.. وما ينبغى أن يكون عليه كل إنسان عاقل يقدر للأمور قدرها..





فقد كتب سليمان عليه السلام كتاباً، وختمه بخاتمه، وأعطاه إلى الهدهد ليذهب به إلى الملكة، إنه كتاب دعوة إلى الإسلام والإيمان، فهل تقبل الملكة والقوم الإيمان بالله حتى يكونوا فى أمن وسلام، أم يختارون العناد والإصرار حتى تجوز لهم العقوبة؟

وأمر سليمان الهدهد أن يذهب بهذه الرسالة إلى ملكة سبأ ويلقيها فى قصر الملكة، دون أن يراه أحد منهم، ويقف فى مكان بحيث يسمع كلامهم ويرى رد فعلهم تجاه هذه الرسالة..

قال خالد: وماذا كان يقصد نبى الله سليمان بذلك؟

قال الهدهد: أراد سليمان عليه السلام أن يتخذ التدابير اللازمة على ضوء جواب بعضهم لبعض .

ومضى جدى الهدهد بالكتاب، حتى وصل إلى سبأ، وإذا الملكة مع وزرائها في المجلس، فألقى الكتاب إلى الملكة، وإذا بها تدهش، وتفتح الكتاب فتقرأ محتواه..

وهنا توجّهت الملكة إلى وزرائها وأشراف قومها، وأخبرتهم بمضمون هذه الرسالة العجيبة الكريمة..

فهى عجيبة لأن الملكة لم تعرف من الذى أوصل إليها هذه الرسالة.. وهى كريمة من مضمونها وعظيم ما فيها من أمور.. لأنها من نبى الله سليمان يدعوها إلى الإيمان بالله..

قال خالد: يبدو أن وقع هذه الرسالة على الملكة وقومها كان عجيبًا ..

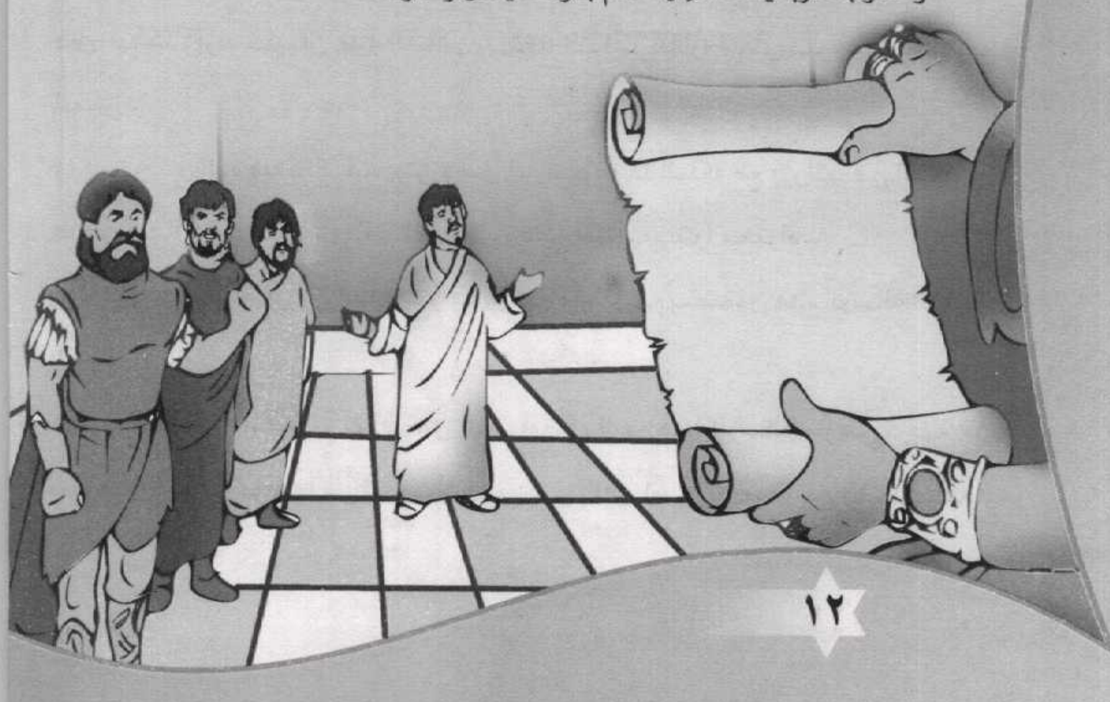
قال الهدهد: نعم يا خالد .. فمن الطبيعي أن يعلو الوجوم جميع من فى المجلس، إنه موقف رهيب أن يدعو ملك أقوى، ملكاً أضعف إلى الاستسلام والانقياد .. فما الجواب؟ وما هو الموقف؟ وكيف التفكير؟

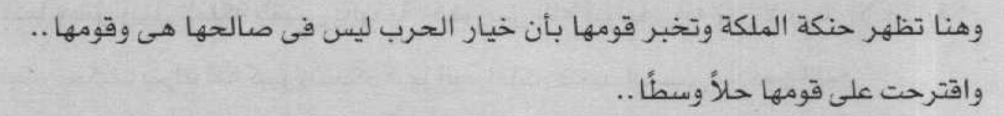
ولذا تحيّرت الملكة فى الجواب .. وطلبت المشورة من أشراف قومها الذين يحضرون مجلسها وبماذا ينبغى أن تجيب؟ وما هو الأصلح لهم، الخصام أم الاستسلام؟

قال خالد: هذا موقف رائع من الملكة لأنها تستشير قومها فى أمر مهم سيحدد مصيرهم ولا تستبد برأيها ..

قال الهدهد: لقد كانت سيدة عاقلة .. ولقد نصحها من كان عندها من القوم بمواجهة نبى الله سليمان، فهم قادرون على محاربته لأنهم أصحاب قوة وقدرة وشجاعة شديدة، ومراس في الحرب.. ولكنهم فى النهاية فوضوا الأمر إليها لتفعل ما تريد ..

تفكّرت الملكة فى الأمر مليًا، فهل ترفع اليد عن دينها وتُسلم، أم ترفع اليد عن ملكها وتحارب حرباً يائسة؟ إنها تعلم بقوة سليمان وقدرته،





وهنا تظهر حنكة الملكة وتخبر قومها بأن خيار الحرب ليس فى صالحها هى وقومها.. واقترحت على قومها حلاً وسطًا..

قال خالد: وما هو هذا الحل الوسط أيها الهدهد؟

قال الهدهد: كان الحل الذى مالت الملكة إليه المجاملة والمصانعة ليلين قلب سليمان نحوهم، فيتركهم وشأنهم، فقررت أن ترسل بهدية ثمينة إلى الملك سليمان تليق بمقام المرسلة، وبمكانة المرسَل إليه،ونوعيّة العطف المترقب من ورائها.. ومن شأن الهدايا تليين الخصومات والخصوم..

قال خالد: يبدو أن الملكة لم تدرك الفرق بين الملوك العاديين وأنبياء الله الأطهار..

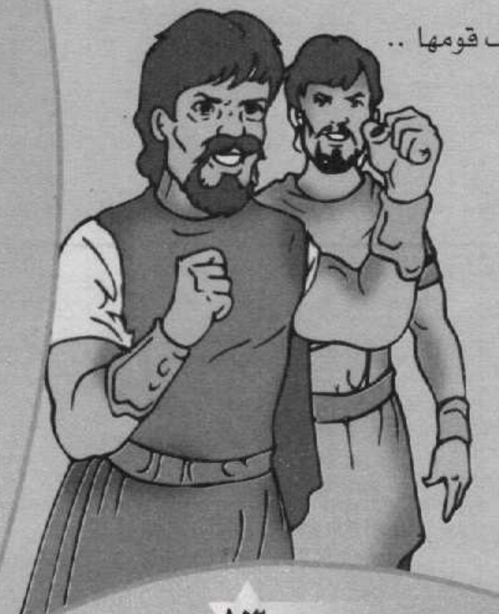
ضحك الهدهد وقال: عندك حق يا خالد، فقد ظنت الملكة أن الهدية ستغير موقف نبى الله سليمان نحوهم..

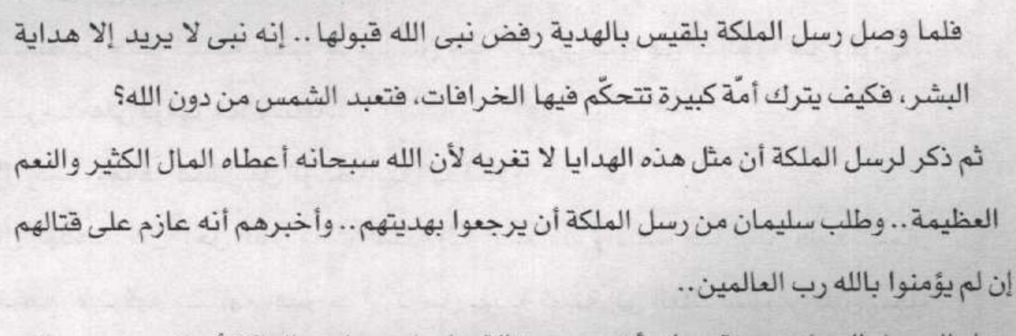
قال خالد: ولكن أين جدك الهدهد فى هذه الأحداث؟

قال الهدهد: كان جدى الهدهد يقف على إحدى شرفات قصر الملكة بحيث لا يراه أحد.. واستمع إلى الحوار الذى دار بين الملكة وأشراف قومها..

وعلم القرار النهائى الذى توصلوا إليه..

لذلك عاد طائرًا إلى نبى الله سليمان ليخبره بما استقر عليه القوم من أمر..





فلما وصل رسل الملكة بلقيس بالهدية رفض نبى الله قبولها .. إنه نبى لا يريد إلا هداية البشر، فكيف يترك أمّة كبيرة تتحكّم فيها الخرافات، فتعبد الشمس من دون الله؟

ثم ذكر لرسل الملكة أن مثل هذه الهدايا لا تغريه لأن الله سبحانه أعطاه المال الكثير والنعم العظيمة.. وطلب سليمان من رسل الملكة أن يرجعوا بهديتهم.. وأخبرهم أنه عازم على قتالهم إن لم يؤمنوا بالله رب العالمين..

وجاء الرسول إلى بلقيس وقومها، وأخبرهم بمقالة سليمان، وعلمت الملكة أنه نبى من عند الله وليس ملكاً فحسب، ولذا لم تجد بدًا من الاستسلام والإسلام.

فتجهزت الملكة مع أشراف قومها للمسير إلى سليمان عليه السلام، وكأنها أرادت بذلك إظهار خضوعها، وأنها مُسلّمة إليه مقاليد البلاد، ونفسها.

فأخبر جبريل عليه السلام سليمان بمسيرها .

وأراد سليمان عليه السلام أن يرى لها عظمته، حتى تكون أقرب إلى الطاعة والانقياد،ولتكون حجّة على نبوّته،ولذا طلب من زعماء أصحابه أن يأتوا بعرشها العظيم إلى حيث مقرّ سليمان..

وبقدرة الله سبحانه استطاع أحد من كان فى مجلس سليمان أن يحضر له العرش فى لمح البصر..

فلمّا رأى سليمان ذلك توجه إلى الله سبحانه شاكرًا فضله عليه.. فهو يعلم أن هذا الأمر اختبار من الله له..

وطلب سليمان من جنوده أن يغيروا فى عرش بلقيس بحيث لا تعرفه إذا رأته..وقد أراد سليمان بذلك اختبار عقل بلقيس هل تعرف أنه عرشها أم لا؟ وهكذا تم أمر سليمان، ونكّر العرش، واستعد سليمان للقاء الملكة وقومها - والملكة لا تعرف عن أمر عرشها شيئاً - . وأمر سليمان قبل مجىء بلقيس الجن والبنّائيـن أن يعملـوا له قصـراً مـن الزجاج، وفرش أرض القصر بالزجاج الصافى، وكـان مـا تحـت الزجـاج فارغاً، فأمر بملئه ماء، وجعـل فيـه الأسماك والضفادع، وما أشبه ذلك، وجعل سريره فى أعلى القصر، حتى إذا رآه الإنسان غير العارف بحقيقة الأمر، تخيّل أن ساحة القصر مملوءة بالمـاء والأسماك،وأن سرير سليمان موضوع على الماء.. ولعلّه فعل ذلك إظهاراً للعظمة، حتى تكون بلقيس وقومها أسرع في الإيمان.



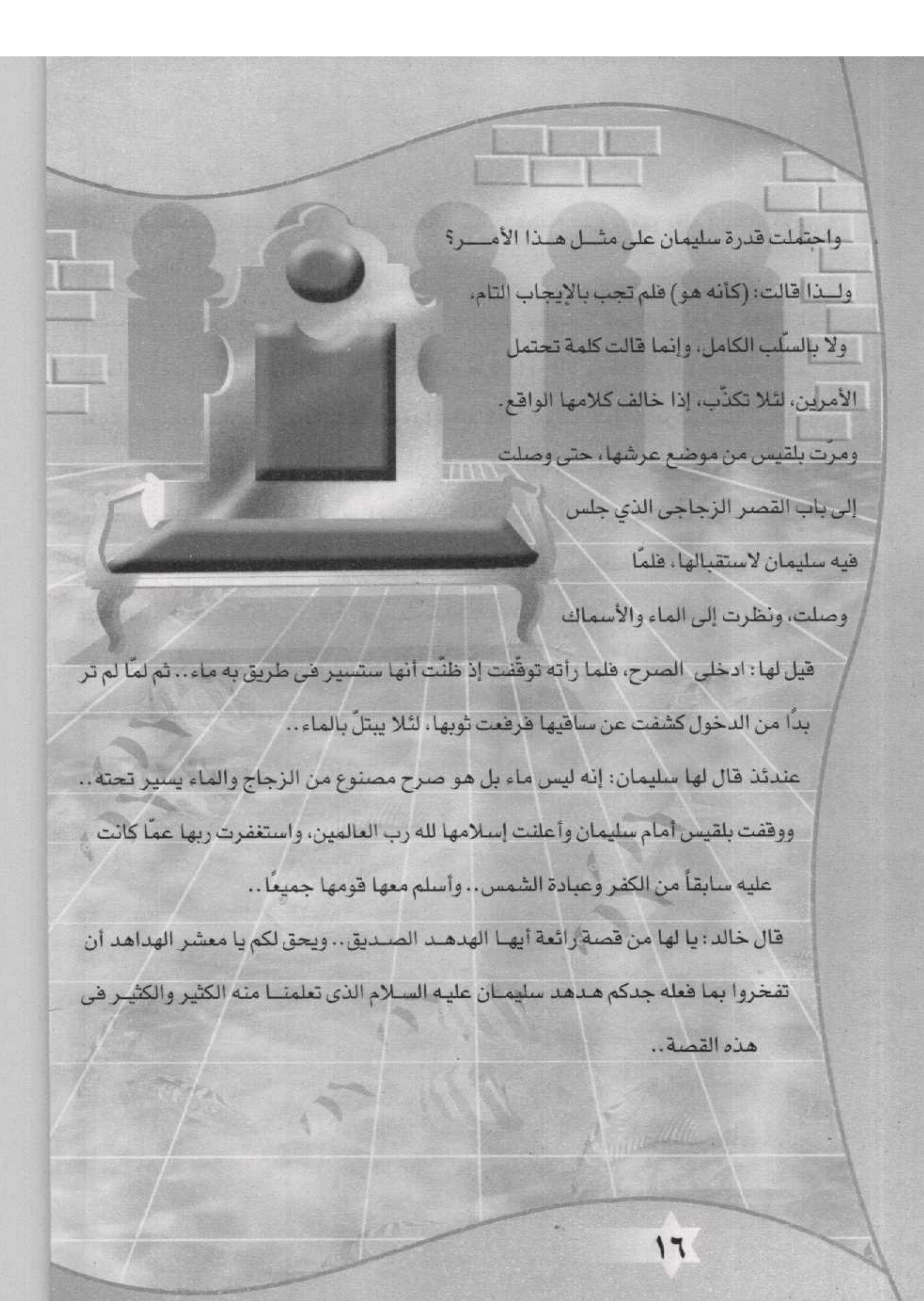
انتهى السير بالملكة وقومها، إلى محل قصر سليمان..

ووقعت عينها على عرشها، فقال لها أحد أتباع سليمان: (أهكـذا عرشـك)؟

وكانت بلقيـس حصيفة، ففكّرت في نفسها

هل هو عرشها أم غيره؟

إن كان هو فكيف جىء به؟



واحتملت قدرة سليمان على مثـل هـذا الأمــر؟

ولــذا قالت: (كأنه هو) فلم تجب بالإيجاب التام،

ولا بالسّلب الكامل، وإنما قالت كلمة تحتمل

الأمرين، لئلا تكذّب، إذا خالف كلامها الواقع.

ومرّت بلقيس من موضع عرشها، حتى وصلت

إلى باب القصر الزجاجى الذي جلس

فيه سليمان لاستقبالها، فلمّا

وصلت، ونظرت إلى الماء والأسماك

قيل لها: ادخلى الصرح، فلما رأته توقّفت إذ ظنّت أنها ستسير فى طريق به ماء.. ثم لمّا لم تر بدًا من الدخول كشفت عن ساقيها فرفعت ثوبها، لئلا يبتلّ بالماء..

عندئذ قال لها سليمان: إنه ليس ماء بل هو صرح مصنوع من الزجاج والماء يسير تحته..

ووقفت بلقيس أمام سليمان وأعلنت إسلامها لله رب العالمين، واستغفرت ربها عمّا كانت عليه سابقاً من الكفر وعبادة الشمس.. وأسلم معها قومها جميعًا..

قال خالد: يا لها من قصة رائعة أيهـا الهدهـد الصـديق.. ويحق لكم يا معشر الهداهد أن تفخروا بما فعله جدكم هـدهـد سليمـان عليـه السـلام الذى تعلمنـا منه الكثير والكثيـر فى هذه القصة..